Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بِتُّ أُبدى وَجْدًا وأكتُمُ وجدا لِخيالٍ من البخيلةِ يُهْدى[٧٥]

وقد يقال فإن مثل هذه الأوصاف مألوف فى الغزل فلا داعى لحمله على دلالة خاصة ، والجواب أن الشاعر لا يتغزل حقيقة ، وإنما يمهد للدخول إلى المدح ، فضلا عن أنه مع ذلك لم يجعل البخل فى سياق غزل كامتناع محبوبته مثلا ، وإنما هو وصف يبدو فيه مجرد الرغبة فى إلصاق صفة البخل بهذه المرأة ، ولو كانت نفسه راضية عنها لوجد الكثير من أوصاف تنبئ عن الرضا ، كقوله مستهلا أحد المطالع (بمثل لقائها شفى الغليل) ولكن توارد البخل أو سائر الصفات السيئة التى تشيع فى مطالعه إنما يدل على شعور ماثل فى أعماقه بالسخط على ألوان من الخلق تشيع فى مجتمعه ، ومن حوله ، فهو يلبسها من يتغزل بها ، أو تبرز فى المطلع فى أى صورة .

وإذا رجعنا إلى التاريخ لنلق نظرة على حالة المجتمع المعاصر للبحترى وما يموج به من صنوف الفتن ، وشتى الأخلاق ، نستطيع أن نتبين أن مطالع البحترى ليست إلا صدى لما فى هذا المجتمع .

ونستطيع أن نجد فى مطلع واحد إجمالا لما يدور فى نفس البحترى من هذه المشاعر الساخطة الحزينة اليائسة التى تبدو صدى واضحا لما يحسه من خلق الذين من حوله ، وهو يكاد يصرح بهذا ، وذلك فى مطلع قصيدة يمدح بها أبا نهشل بن حميد الطوسى الطائى[٧٦] ، وكان هذا الممدوح ضمن إخوة من علية القوم ، ولكنهم يتميزون بأنهم من الشعراء الأدباء ، وهذا جعل البحترى يفضى فى حديثه وشعره إليهم بما فى نفسه فى وضوح ، لأنهم يشاركونه مهنته ، ويشاركونه بالتالى أحاسيسه نحو الحياة والمجتمع ، ولذلك نجده فى مطلع آخر غير هذا المطلع الذى نتحدث عنه ، يتحدث عن ظلم الدهر وإساءته إليهم ، كما تحدث كثيرا عن ظلم الدهر إياه هو ، فيقول :

ظَلَمَ الدهرُ فيكم وأساءَ فعزاءً (بنى حميد) عزاءً[٧٧]

أما المطلع الذى نتحدث عنه ، وهو مطلع المدح ، فإنه يستهله بالزهد فى الحب وفى المتعة ، رغم أن أسبابهما موجودة لديه ، فيقول :